عظماء مجهولون

١٤

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ السَّهْمِي

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

المكتب الإسلامي
بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقياً: اسلامياً
دمشق: ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقياً: اسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالِمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ اللهِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى دَرْبِهِ

وبعد :

فَإِنَّ بَنِي سَهْمٍ أَحَدُ بُطُونِ قُرَيْشٍ الاثْنَي عَشَرَ، وَقَدْ كَانَ أَعْظَمَ مَنْ بَرَزَ مِنْهُمْ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَمْرُو بْنُ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

لَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَبَدَأَ يَدْعُو النَّاسَ سِرّاً كَانَ سَيِّدَ بَنِي سَهْمٍ العَاصُ بْنُ وَائِلَ بْنُ سَعْدِ بنُ سَهْمٍ، وَهُوَ وَالِدُ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وَلَقَدْ وَقَفَ العَاصُ هَذَا كَمَا وَقَفَ بَقِيَّةُ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ ضِدَّ الاِسْلاَمِ، وَحَارَبُوا الَّذِينَ اعْتَنَقُوهُ مِنْ أَقْرِبَائِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ بُغْيَةَ فِتْنَتِهِمْ عَنْ دِينِهِمْ إِلاَّ أَنَّ هَذَا كُلَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَحُولَ دُونَ انْتِشَارِ الاِسْلاَمِ بَيْنَ أَفْرَادِ هَذَا

البَطْنِ أَوْ ذَاكَ فَالإِسْلاَمُ دِينُ الفِطْرَةِ وَلاَ يُمْكِنُ لِلْعَذَابِ أَنْ يَحُولَ دُونَ اعْتِنَاقِهِ مِنْ قِبَلِ النَّاسِ ، وَكَذَا لاَ يُمْكِنُ لِلتَّخْوِيفِ وَالإِرْهَابِ.

لَقَدْ آمَنَ عَدَدُ غَيْرُ قَلِيلٍ مِنْ بَنِي سَهْمٍ وَدَخَلُوا الإِسْلاَمَ، وَلَمَّا اشْتَدَّ أَذَى قُرَيْشٍ عَلَيْهِمْ إِذْ وَثَبَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ عَلَى مَنْ فِيهَا مِنَ المُسْلِمِينَ، فَجَعَلُوا يَحْبِسُونَهُمْ وَيُعَذِّبُونَهُمْ بِالضَّرْبِ وَالجُوعِ وَالعَطَشِ، وَبِرَمْضَاءِ مَكَّةَ إِذَا اشْتَدَّ الحَرُّ، مَنْ اسْتُضْعِفُوا مِنْهُمْ، يَفْتِنُونَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَن يُفْتَنُ مِنْ شِدَّةِ البَلاَءِ الَّذِي يُصِيبُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَصْلُبُ لَهُمْ، وَيَعْصِمُهُ اللهُ مِنْهُمْ، فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَئِذٍ بِالهِجْرَةِ إِلَى أَرْضِ الحَبَشَةِ وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ فِيهِمْ مَلِكاً لاَ يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ.

وَهَاجَرَ صَحَابَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى الحَبَشَةِ، وَهَاجَرَ مَعَهُمْ عَبْدُ اللهِ وَكَانَ قَدْ بَلَغَ سِنَّ الشَّبَابِ وَيَبْدُو أَنَّ عُمْرَهُ آنَذَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيَقِلَّ عَنِ الخَامِسَةِ وَالعِشْرِينَ، إِذْ أَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ أَخِيهِ خُنَيْسٍ الَّذِي كَانَ مُتَزَوِّجاً حَيْثُ يُكَنَّى بِأَبِيهِ فَيُقَالُ لَهُ أَبُو حُذَافَةَ أَوْ أَبُو حُذَيْفَةَ. وَكَانَتْ أُمُّهُ بِنْتُ حَرْثَانَ مِنْ بَنِي الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةٍ تُعَدُّ مِنْ أُرُومَةٍ كَرِيمَةٍ فِي قُرَيْشٍ أَيْضاً.

وَقَدْ هَاجَرَ مِنْ بَنِي سَهْمٍ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلاً مِنْهُمْ هَاشِمُ بْنُ

العَاصِ بْنِ وَائِلَ، وَأَبُوهُ يَوْمئِذٍ - كَمَا ذَكَرْنَا - شَيْخُ بَنِي سَهْمٍ وَهُوَ أَخُو عَمْرِو بْنِ العَاصِ وَأَصْغَرُ مِنْهُ، كَمَا هَاجَرَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ حُذَافَةَ، وَأَخُوهُ قَيْسٌ، وَأَخُوهُ خُنَيْسٌ، وَأَبْنَاءُ عَمِّهِمْ الحَارِثِ وَهُمْ: أَبُو قَيْسٍ، وَعَبْدُ اللهِ، وَسَعِيدٌ، وَالسَّائِبُ، وَمَعْمَرٌ، والحَارِثُ، وَبِشْرٌ.

وَبَعْدَ مُدَّةٍ وَصَلَ إِلَيْهُمْ خَبَرُ مَفَادُهُ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ أَسْلَمُوا فَعَادَ بَعْضُهُمْ وَقَدْ خَرَجُوا كَثِيراً فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى مَكَّةَ لَمْ يَجِدُوا شَيْئاً مِمَّا نُقِلَ إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَستَطِيعُوا أَنْ يَدْخُلُوا مَكَّةَ إِلاَّ مُسْتَخْفِينَ أَوْ بِجِوَارِ أَحَدِ الوُجَهَاءِ.

أَمَّا هَؤُلاَءِ العَائِدُونَ فَمِنْهُمْ مَنْ أَقَامَ بِمَكَّةَ حَتَّى هَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ وَشَهِدَ بَدْراً وَأُحُداً، وَمِنْهُمْ مَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ. وَقَدْ عَادَ مِنْ بَنِي سَهْمٍ خُنَيْسُ بْنُ حُذَافَةَ أَخُو عَبْدِ اللهِ، وَقَدْ كَانَ صِهْرَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِذْ كَانَ مُتَزَوِّجاً ابْنَتَهُ حَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَقَدْ هَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ وَشَهِدَ بَدْراً، وَأُصِيبَ بِجِرَاحٍ يَوْمَ أُحُدٍ فَمَاتَ مُتَأَثِّراً بِها، وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرٍ فَكَانَتْ أُمَّ المُؤْمِنِين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وَمِنَ الَّذِينَ عَادُوا هِشَامُ بْنِ العَاصِ بْنِ وَائِلَ وَقَدْ حَبَسَهُ

أَبُو العَاصِ بِمَكَّةَ وَبَقِيَ فِيهَا. لِذَلِكَ نُلاَحِظُ أَنَّهُ لَمْ يَحْضَرْ بَدْراً مِنْ بَنِي سَهْمٍ سِوَى خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَهُنَاكَ رِوَايَةٌ ضَعِيفَةٌ أَنَّ عَبْدَ اللهِ قَدْ حَضَرَ بَدْراً لَكِنْ يَبْدُو أَنَّهُ كَانَ لاَ يَزَالُ فِي الحَبَشَةِ يَوْمَذَاكَ وَقَدْ جَاءَ فِيما بَعْدُ وَشَهِدَ المَشَاهِدَ بَعْدَ أُحُدٍ مَعَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمَعَ أَنَّ العَاصَ بْنَ وَائِلٍ قَدْ هَلَكَ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِثَلاَثَةِ أَعْوَامٍ إلاَّ أَنَّ المُسْتَضْعَفِينَ بَقَوْا فِي مَكَّةَ حَتَّى مَا بَعْدِ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ.

فَفِي شَهْرِ ذِي القِعْدَةِ مِنْ عَامِ ستَّة لِهْجرَة رَسُول اللهِ ﷺ عَزَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الحَجَّ وَسَارَ عَلَى رَأْسِ ١٤٠٠ مُسْلِمٍ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى (عَسَفَانَ) الْتَقَى بِمَنْ أَخْبَرَهُ بِأَنَّ قُرَيشاً قَرَّرَتْ مَنْعَهُ مِنْ زِيَارَةِ البَيْتِ وَاسْتَعَدَّت لِلْقِتَالِ إِنْ دَعَتْ إِلَيْهِ الضَرُورَةُ، وَأَنَّ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ قَدْ سَارَ عَلَى رَأْسِ خَيَّالَةِ قُرَيْشٍ لِيَحُولَ دُونَ دُخُولِ المُسْلِمينَ إِلاَّ أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ لَمْ يَهْتَمْ كَثِيراً وَغَيَّرَ طَرِيقَهُ إِذْ اتَّجَهَ إِلَى اليَمِينِ فَرَجَعَتْ خَيْلُ قُرَيْشٍ إِلَى مَكَّةَ لِتَقِفَ فِي وَجْهِ المُسْلِمين وَوَقَفَ المُسْلِمُونَ بِالحُدَيبِيَةِ وَمَشَتْ الرُّسُلُ بَيْنَ الطَرَفَيْنِ حَتَّى تَمَّ الصُّلْحُ، وَقَدْ مَثَّلَ

قُرَيْشٍ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي ذَلِكَ الصُّلْحِ وَكَانَتْ بُنُودُ ذَلِكَ الاتِّفَاقِ.

١ ـ أَلاَّ يَزُور المُسْلِمُونَ البَيْتَ هَذَا العَامِ، وَأَنْ يَأْتُوا فِي العَامِ المُقْبِلِ وَيَبْقُوا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فِي مَكَّةَ.

٢ ـ تَضَعُ الحَرْبُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ عَشْرَ سَنَواتٍ.

٣ ـ يَرُدُّ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْ أَتَاهُ مِنْ مَكَّةَ مُسْلِماً، وَلاَ تَلْتَزِم قُرَيْشٌ بِرَدِّ مَنْ يَأْتِيهَا مُرْتَداً.

٤ ـ مَنْ أَرَادَ مِنَ القَبَائِلِ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدٍ مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلَهُ ذَلِكَ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدٍ مَعَ قُرَيْشٍ مَكَّةَ فَلَهُ ذَلِكَ.

وَوَجَدَ المُسْلِمُونَ فِي هَذَا الصُّلْحِ شَيْئاً، وَلَمْ يَعْلَمُوا مَرَامِيَهُ البَعِيدَةَ، وَبَيْنَمَا هُمْ فِي الجَلْسَةِ الخِتَامِيَّةِ حَسْبَ المُصْطَلَحِ الحَدِيثِ لَمْ يَبْقَ سِوَى التَّوْقِيعُ إِذْ جَاءَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ ابْنِ عُمْرٍو الَّذِي يُمَثِّلُ المُشْرِكِينَ فِي هَذَا الصُّلْحِ، يَرْسِفُ بِالقُيُودِ وَيُرِيدُ أَنْ يَلْتَجِىءَ إِلَى المُسْلِمينَ حَيْثُ أَنَّهُ مِنَ المُؤْمِنِينَ المُسْتَضْعَفِينَ. فَلَمَّا رَأَى سُهَيْلٌ إِبْنَهُ قَامَ إِلَيْهِ فَضَرَبَ وَجْهَهُ وَأَخَذَ بِتَلاَبِيبِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ قَدْ لَجَّتْ القَضِيَّةُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ

قَبْلَ أَنْ يَأْتِيكَ هَذَا، وَهَذَا أَوَّلُ مَنْ أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ.

وَنَادَى أَبُو جَنْدَلٍ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِماً، أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَبِي جَنْدَلٍ: «اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ لَكَ، وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجاً وَمَخْرَجاً، إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحاً، وَأَعْطَيْنَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَأَعْطُونَا عَهْدَ اللهِ، وَإِنَّا لا نَغْدِرُ بِهِمْ».

مَعَ تِلْكَ الكَلِمَاتِ الَّتِي تُلْقِي بِرُوحِ الصَّبْرِ وَالإِطْمِئْنَانِ فِي قَلْبِ أَبِي جَنْدَلٍ كَانَتْ الثَّائِرَةُ تَغْلِي فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَكِنْ لاَ يَتَكَلَّمُونَ احْتِرَاماً لِمَقَامِ العَهْدِ[1].

كَانَ أَبُو بَصِيرٍ عُتْبَةُ بْنُ أسيد بْنُ جَارِيَةَ مِمَّنْ أَسْلَمَ وَحُبِسَ بِمَكَّةَ، وَقَد اسْتَطَاعَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ مَحْبَسِهِ، وَذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ تَطْلُبُ مِنْهُ إِرْجَاعَهَ بِمُقْتَضَى الصُّلْحِ، وَأَرْسَلَتْ اثْنَيْنِ يَتَسَلَّمَانِهِ، وَوَصَلاَ إِلَى المَدِينَةِ وَاسْتَأْذَنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ عِنْدَهُ أَبُو بَصِيرٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا بَصِيرٍ، إِنَّا قَدْ أَعْطَيْنَا هَؤُلاَءِ القَوْمَ مَا قَدْ عَلِمْتَ، وَلاَ يَصْلُحَ لَنَا فِي دِينِنَا الغَدْرَ، وَإِنَّ

(١) خاتم النبيين ﷺ محمد أبو زهرة ـ القسم الثاني.

اللهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجاً وَمَخْرَجاً».

قَالَ أَبُو بَصِيرٍ: «يَا رَسُولَ اللهِ أَتَرُدَّنِي إِلَى الْمُشْرِكِينَ يُفْتُنُونَنِي فِي دِينِي».

قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا بَصِيرٍ انْطَلِقْ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى، سَيَجْعَلُ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجاً وَمَخْرَجاً».

إِنْطَلَقَ أَبُو بَصِيرٍ مَعَهُمْا، وَانْدَمَجَ مَعَهُمْا فِي الحَدِيثِ، وَأَظْهَرَ الإِسْتِسْلاَمَ حَتَّى أَطْمَأَنَّا إِلَيْهِ، فَقَالَ لأَحَدِهِمَا: يَا أَخَا بَنِي عَامِرٍ أَصَارِمٌ سَيْفُكَ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أُنْظُرُ إِنْ شِئْتَ، فَاسْتَلَّهُ أَبُو بَصِيرٍ، وَأَرَادَ أَنْ يَخْتَبِرَ صَرَامَتَهُ ثُمَّ عَلاَهُ بِهِ فَقَتَلَهُ، أَمَّا الآخَرُ فَقَدْ وَلَّى مُسْرِعاً رَاجِعاً إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ رَأَى فَزِعاً» ثُمَّ قَالَ لَهُ: «وَيْحَكَ مَالَكَ؟». قَالَ الرَّجُلُ: إِنَّ صَاحِبَكُمْ قَدْ قَتَلَ صَاحِبِي و...» وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ ظَهَرَ أَبُو بَصِيرٍ مُتَوَشِّحاً بِالسَّيْفِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ وَفَيْتَ ذِمَّتَكَ، وَأَدّىَ اللهُ عَنْكَ، أَسْلَمْتَنِي لِيَدِ القَوْمِ، وَقَدْ امْتَنَعْتُ بِدِينِي أَنْ أُفْتَنَ أَوْ يُعْبَثَ بِي».

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرُ حَرْبٍ لَوْ كَانَ مَعَهُ أَحَدٌ».

وَوَقَعَ فِي نَفْسِ أَبِي بَصِيرٍ أَنَّهُ سَيُرَدُّ إِلَيْهِمْ، لِذَا فَقَدْ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَسَارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى سِيْفِ البَحْرِ.

وَفَهِمَ المُسْتَضْعَفُونَ فِي مَكَّةَ مِنْ كَلاَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرُ حَرْبٍ لَوْ كَانَ مَعَهُ أَحَدٌ» أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ أَحَدٌ، فَأَصْبَحَ كُلُّ مُسْتَضْعَفٍ يَعْمَلُ عَلَى تَخْلِيص نَفْسِهِ وَيَلْتَحِقُ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَانْطَلَقَ أَبُو جَنْدَلٍ إِلَيْهِ، وانْطَلَقَ مُسْتَضْعَفُونَ وَكَوَّنُوا هُنَاكَ جَمَاعَةً تَقْطَعُ عَلَى قُرَيْشٍ تِجَارَتَهَا، وَتَغِيرُ عَلَى رِجَالاَتِهَا كُلَّمَا سَمِعَتْ بِأَحَدِهِمْ هُنَاكَ. وَشَعَرَتْ قُرَيْشٌ بِالضَّرَرِ يَلْحِقُ بِهَا فَطَلَبَتْ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يَقْبَلَهُمْ عِنْدَهُ، وَأَنَّهُمْ يَتَنَازَلُونَ عَنْ شُرُوطِ الحُدَيْبِيَةِ وَتُنَاشِدُهُ الرَّحْمَةَ فِي ذَلِكَ، لأَنَّهُمْ إِنْ ذَهَبُوا إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ وَالْتَحَقُوا بِالْمُسْلِمِينَ ذَهَبَ ضَرَرُهُمْ، وَأَصْبَحُوا يَخْضَعُونَ لِلنِّظَامِ الاِسْلاَمِيِّ، والرَّسُولُ ﷺ يُصْبِحُ مَسْؤُولاً عَنْهُمْ وَعَنْ أَعْمَالِهِمْ وَتَصَرُّفَاتِهِمْ أَمَّا الآنَ فَلَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَتَحَمَّلُ عَنْهُمْ جَرِيرَةَ أَعْمَالِهِمْ.

كَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُقْبِلَ وَأَصْحَابَهُ إِلَى المَدِينَةِ، لَكِنَّ

أَبَا بَصِيرٍ وَصَلَ إِلَيْهِ الكِتَابُ وهُوَ عَلَى فِرَاشِ المَوْتِ، غَيرَ أَنَّ أَصْحَابَهُ قَدْ سَارُوا إِلَى المَدِينَةِ وَلَمْ يَعُدْ لِلْمُستَضْعَفِينَ مَجَالٌ فِي البَقَاءِ بِمَكَّةَ، إِذْ طَلَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ كُلِّ مُسْتَضْعَفٍ أَنْ يُهَاجِرَ، وَمَنَعَ إِقَامَةَ المُسْلِمِ بَيْنَ المُشْرِكِينَ مَا دَامَتْ عِنْدَهُ القُدْرَةُ عَلَى الخُرُوجِ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَانِيهِمْ مُهَاجِراً. ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً. إِلاَّ المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ وَالوِلدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً. فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ، وَكَانَ اللهُ عَفُوّاً غَفُوراً﴾[1] وَبَعْدَ ذَلِكَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ أَكْثَرَ المُسْلِمِينَ مِنْ بَنِي سَهْمٍ الَّذِينَ بَقَوْا فِي مَكَّةَ قَدْ انْتَقَلُوا مُهَاجِرِينَ إِلَى المَدِينَةِ وَقَدْ هَاجَرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ حُذَافَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى المَدِينَةِ فِي هَذِهِ المُدَّةِ سَوَاءٌ أَكَانَ مِنَ المُسْتَضْعَفِينَ الَّذِينَ بَقَوْا فِي مَكَّةَ. أَمْ مِنَ الَّذِينَ بَقَوْا فِي الحَبَشَةِ فَحَيَاتُهُ فِي المَدِينَةِ ظَهَرَتْ بَعْدَ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ. وَإِنْ كَانَتْ هُنَاكَ رِوَايَةٌ ضَعِيفَةٌ فِي أَنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْراً، وَيَبْدُو - وَاللهُ أَعْلَمُ - أَنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ بَدْراً مَعَ المُسْلِمِينَ مِنْ بَنِي سَهْمٍ سِوَى أَخِيهِ خُنَيْسُ بْنُ حُذَافَةَ رَضِيَ اللهُ

(١) النساء: ٩٧ - ٩٩.

عَنْهُ. عَلَى حِينَ حَضَرَهَا مَعَ الْمُشْرِكِينَ عَدَدٌ مِنْهُمْ: مِنْهُمْ عَمُّهُ وَفْرَةُ بْنُ قَيْسٍ وَقَدْ أُسِرَ يَوْمَذَاكَ بِيَدِ الْمُسْلِمِينَ، وَابْنُ عَمِّهِ الْحَجَّاج بْنِ الْحَارِثِ وَقَدْ أُسِرَ كَذَلِكَ.

وَكَذَلِكَ يَوْمَ أُحُدٍ فَلَمْ يَشْهَدْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ سِوَى أَخِيهِ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ وَقَدْ أَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ يَوْمَذَاكَ وَمَاتَ مِنْهَا. عَلَى حِينَ حَضَرَهَا عَدَدٌ مِنْهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَقُتِلَ ابْنُ عَمِّهِ أَبُو الْعَاصِ بْنِ الْحَارِثِ، وَنَبِيهُ بْنُ الْحَجَّاجِ، وَمُنَبِّهْ بْنُ الْحَجَّاجِ، وَالْعَاصُ بْنُ الْمُنَبِّهِ.

سلم
محمد
هدى
نبي
هاشم
وائل
حذيفة
مهشم
وائل
حذيفة
أبجاع
العاص (قتل يوم أحد كافراً)
(أم وهب بن الحجاج)
(أم هشام بن العاص)
عمرو
هشام
(أم وهب بن الحجاج)
عمير
رباب
(أم وهب بن الحجاج)
عبيدة
أبو سفيان
(أم وهب بن الحجاج)
أبو لهب
(أم وهب بن الحجاج)
عبد الله
(أم وهب بن الحجاج)
أبو طالب
(أم وهب بن الحجاج)
عقيل
(أم وهب بن الحجاج)
طالب
(أم وهب بن الحجاج)
العباس
(أم وهب بن الحجاج)
حمزة
(أسر يوم بدر كافراً)
أبو سلمة
(أم وهب بن الحجاج)
(أسلم وهاجر إلى الحبشة)
أسلم وهاجر إلى الحبشة وشهد بدراً وأصيب مع المسلمين يوم أحد مع المسلمين
(أم وهب بن الحجاج)
عبد الله
(أم وهب بن الحجاج)
نبي

سَفِيْرُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَعْدَ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كُتُباً إِلَى المُلُوكِ وَالأُمَرَاءِ يَدْعُوهُمْ فِيهَا إِلَى الإِسْلاَمِ، ويُعَلِّمُهُمْ إِثْمَ أَتْبَاعِهِمْ وَرَعَايَاهُمْ فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ، وَاخْتَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سُفَرَاءَهُ لِهَذِهِ المُهِمَّةِ مِمَّنْ لَهُمْ عَلاَقَاتٌ بِالمُرْسَلِينَ إِلَيْهِمْ، وَمِمَّنْ يَعُونَ الأُمُورَ وَيُحْسِنُونَ الرَدَّ، وَيَتَصَرَّفُونَ بِالشَّكْلِ المُنَاسِبِ فِي الوَقْتِ المُنَاسِبِ. وَوَقَعَ اخْتِيَارُهُ ﷺ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ حُذَافَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِحَمْلِ هَذِهِ المُهِمَّةِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ الفُرْسِ، وَعَبْدُ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِمَّنْ لَهُ خِبْرَةٌ بِبِلاَدِ فَارِسَ، وَسَفَرٍ إِلَيْهَا، وَلِقَاءٍ مَعَ كِسْرَى، وَعَبْدُ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُسْلِمٌ صَادِقٌ لاَ يُمْكِنُهُ إِلاَّ أَنْ يُطِيعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَيُنَفِّذَ لَهُ أَوَامِرَهُ كَامِلَةً بِرِضىً وَيَعُدَّ هَذَا عِبَادَةً وَتَقَرُّباً إِلَى اللهِ وَطَاعَةً لَهُ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ

غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1] ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾[2].

سَارَ عَبْدُ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِيهِ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ. مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ. سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى وَآمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ. أَدْعُوكَ بِدُعَاءِ اللهِ، فَإِنِّي أَنَا رَسُولُ اللهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الكَافِرِينَ. فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِنَّ إِثْمَ الْمَجُوسِ عَلَيْكَ». وَوَصَلَ عَبْدُ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ، وَهُوَ مِنْ أَتْبَاعِ كِسْرَى فَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ الكِتَابَ وَيُرْسِلَهُ هُوَ عَنْ طَرِيقِهِ إِلَى كِسْرَى فَرَفَضَ عَبْدُ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِذْ أَنَّهُ مُكَلَّفٌ بِتَسْلِيمِهِ شَخْصِياً إِلَى كِسْرَى وَلاَ يُمْكِنُهُ إِلاَّ ذَلِكَ. فَدَفَعَهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى. وَوَصَلَ عَبْدُ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى كِسْرَى وَوَقَفَ أَمَامَ بَابِهِ مُسْتَأْذِناً مَعَ عُظَمَاءِ الفُرْسِ، وَقَدْ أُذِنَ لِعُظَمَاءِ الفُرْسِ، ثُمَّ أُذِنَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرَادَ كِسْرَى أَنْ يَدْفَعَ عَبْدُ اللهِ الكِتَابَ لِغَيْرِهِ، فَأَبَى عَبْدُ اللهِ إِلاَّ أَنْ يُسَلِّمَهُ شَخْصِياً، وَقَالَ لَهُ: «كُلِّفْتُ أَنْ أُعْطِيَ الكِتَابَ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٣١.

(٢) سورة النساء الآية: ٨٠.

فَارسَ» فَعِنْدَهَا قَابَلَ عَبْدُ اللهِ كِسْرَى وَسَلَّمَهُ الكِتَابَ فَلَمَّا قَرَأَهُ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإِثْمِ وَمَزَّقَ الكِتَابَ ـ وَلَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ الخَبَرُ دَعَا عَلَيْهِ بِأَنْ يُمَزَّقَ مُلْكُهُ ـ ثم كَتَبَ كِسْرَى إِلَى بَاذَانَ مَلِكِهِ عَلَى اليَمَنِ: أَنْ ابْعَثْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بِالحِجَازِ رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ مِنْ عِنْدِكَ فَلْيَأْتِيَانِي بِهِ.

لَمْ يَكُنْ بَاذَانُ رَجُلاً أَهْوَجَ لِيَتَصَرَّفَ كَمَا يَأْمُرُهُ الطُّغَاةُ المُتَغَطْرِسُونَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ الدُّنْيَا بِأَيْدِيهِمْ وَأَنَّ مَنْ فِيهَا تَبَعٌ لَهُمْ، وَأَنَّ أَمْرَهُمْ نَافِذٌ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ لِبَاذَانَ أَنْ يُنَفِّذَ أَمْرَ مَلِكِهِ، وَلَكِنْ لَهُ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِيهِ.

أَرْسَلَ بَاذَانُ قَهْرَمَانَهُ وَهْوَ بَابَوِيهْ، وَكَانَ كَاتِباً حَاسِباً، وَبَعَثَ مَعَهُ رَجُلاً مِنَ الفُرْسِ يُقَالُ لَهُ «خَرْسَرَةُ» وَكَتَبَ مَعَهُمَا كِتاباً إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَأْمُرُهُ أَنْ يَنْصَرِفَ مَعَهُمَا إِلَى كِسْرَى، وَقَالَ لِبَابَوِيه: وَيْلَكَ انْظُرْ حَالَ الرَّجُلِ وكَلِّمْهُ وَائْتِنِي بِخَبَرِهِ.

«فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا إِلَى الطَّائِفِ، فَسَأَلاَ عَنْهُ، فَقَالُوا: هُوَ بالمدِينَةِ. وَٱسْتَبْشَروا، وَقَالُوا: قَدْ نَصَبَ لَهُ كِسْرَى، كُفِيتُمْ الرَّجُلَ».

فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا المَدِينَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ بَابَوِيه وَقَالَ: إِنَّ شَاهَ شَاه مَلِكَ المُلُوكِ كِسْرَى كَتَبَ إِلَى المَلِكِ بَاذَانَ يَأْمُرُهُ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ مَنْ يَأْتِيهِ بِكَ، وَقَدْ بَعَثَنِي إِلَيْكَ

لِتَنْطَلِقَ مَعِي، فَإِنْ فَعَلْتَ كَتَبْتُ فِيكَ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ بِكِتَابٍ يَنْفَعُكَ وَيَكُفُّ عَنْكَ بِهِ، وَإِنْ أَبَيْتَ فَهُوَ مَنْ قَدْ عَلِمْتَ، هُوَ مُهْلِكُكَ وَمُهْلِكُ قَوْمِكَ وَمُخَرِّبُ بِلاَدِكَ.

وَكَانَا قَدْ دَخَلاَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ حَلَقَا لِحَاهُمَا، وَأَعْفَيَا شَوَارِبَهُمَا، فَكَرِهَ النَّظَرَ إِلَيْهِمَا وَقَالَ: وَيْلَكُمَا مَنْ أَمَرَكُمَا بِهَذَا؟ قَالاَ: أَمَرَنَا بِهَذَا رَبُّنَا. يَعْنِيَانِ كِسْرَى. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَكِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي بِإِعْفَاءِ لِحْيَتِي وَقَصِّ شَارِبِي» ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: اِرْجِعَا حَتَّى تَأْتِيَانِي غَداً.

وَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ الخَبَرُ أَنَّ اللهَ سَلَّطَ عَلَى كِسْرَى ابْنَهُ شِيرَوِيه فَقَتَلَهُ فِي شَهْرِ كَذَا فِي لَيْلَةِ كَذَا وَكَذَا لِكَذَا مِنَ اللَّيْلِ.

فَلَمَّا أَتَيَا رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَهُمَا: إِنَّ رَبِّي قَتَلَ رَبَّكُمَا لَيْلَةَ كَذَا وَكَذَا لِكَذَا وَكَذَا مِنَ اللَّيْلِ، سَلَّطَ عَلَيْهِ ابْنَهُ شِيرَوِيه فَقَتَلَهُ. فَقَالاَ: هَلْ تَدْرِي مَا تَقُولُ؟ إِنَّا قَدْ نَقَمْنَا مِنْكَ مَا هُوَ أَيْسَرَ مِنْ هَذَا، أَفَنَكْتُبُ هَذَا وَنُخْبِرُ المَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَخْبِرَاهُ ذَلِكَ عَنِّي، وَقُولاَ لَهُ: إِنَّ دِينِي وَسُلْطَانِي سَيَبْلُغُ مَا بَلَغَ مُلْكُ كِسْرَى، وَيَنْتَهِي إِلَى مُنْتَهَى الخُفِّ وَالحَافِرِ، وَقُولاَ لَهُ: إِنَّكَ إِنْ أَسْلَمْتَ أَعْطَيْتُكَ مَا تَحْتَ يَدِكَ وَمَلَّكْتُكَ عَلَى قَوْمِكَ مِنَ

الأَبْناءِ[1]. ثُمَّ أَعْطَاهُمَا مِنْطَقَةً فِيهَا ذَهَبٌ وُفِضَّةٌ كَانَ أَهْدَاهَا لَهُ بَعْضُ المُلُوكِ. وَرَوَى البَيْهَقِي أَنْ شِيرَوِيه هَذَا الَّذِي قَتَلَ أَبَاهُ، قَدْ اسْتَخْلَفَ مِنْ بَعْدِه ابْنَتَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوا أَنْفُسَهُمْ امْرأَةً».

فَخَرَجا مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى قَدِمَا عَلَى بَاذَانَ فَأَخْبَرَاهُ الخَبَرَ، فَقَالَ: واللهِ مَا هَذَا بِكَلاَمِ مَلِكٍ، إِنِّي لأَرَى الرَّجُلَ نَبِياً كَمَا يَقُولُ، وَلَنَنْظُرَنَّ مَا قَالَ، فَلَئِنْ كَانَ مَا قَالَ حَقاً إِنَّهُ لَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَسَنَرَى فِيهِ رُأْيَنَا.

فَلَمْ يَلْبَثْ بَاذَانُ أَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ كِتَابُ شِيَرويه: أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَتَلْتُ كِسرَى وَلَمْ أَقْتُلْهُ إِلاَّ غَضَباً لِفَارِسَ، لِمَا كَانَ يَسْتَحِلُّ بِقَتْلِ أَشْرَافِهِمْ وَتَجْمِيرِهِمْ فِي ثُغُورِهِمْ فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَخُذْ لِي الطَّاعَةَ مِمَّنْ قِبَلَكَ، وَانْظُرْ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ كِسْرَى كَتَبَ لَكَ فِيهِ فَلاَ تُهِجْهُ حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي فِيهِ.

فَلَمَّا انْتَهى كِتَابُ ابْنِ كِسْرَى إِلَى بَاذَانَ قَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَرَسُولُ اللهِ. فَأَسْلَمَ وَأَسْلَمَتِ الأَبْنَاءُ مِنْ فَارِسَ، مَنْ كَانَ مِنْهُمْ بِاليَمَنِ[2].

---

(١) الأبناء: هم بقايا الفرس في اليمن؛ الذين قدموا لإخراج الأحباش منها.

(٢) الوفا بأحوال المصطفى عبد الرحمن بن الجوزي المتوفي ٥٩٧ تحقيق مصطفى عبد الواحد. الجزء الثاني.

دُعَابَةُ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ حُذَافَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صَاحِبَ دُعَابَةٍ وَضِحْكٍ مَعَ إِخْوَانِهِ. فَفِي شَهْرِ رَبِيعٍ الآخَرِ مِنَ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ بَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَّ نَاساً مِنَ الحَبَشَةِ يَرَاهُمْ أَهْلُ الشُّعَيْبَةِ - سَاحِلٌ بِنَاحِيَةِ مَكَّةَ - فِي مَرَاكِبَ؛ فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَبَعَثَ عَلْقَمَةَ بْنَ مُجَزِّرٍ المُدْلِجِيَّ فِي ثَلاَثِمَائَةِ رَجُلٍ حَتَّى انْتَهَى إِلَى جَزِيرَةٍ فِي البَحْرِ فَخَاضَ إِلَيْهِمْ فَهَرَبُوا مِنْهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمَّا كَانَ بِبَعْضِ المَنَازِلِ اسْتَأْذَنَهُ بَعْضُ الجَيْشِ فِي الانْصِرَافِ حَيْثُ لَمْ يَلْقَوْا كَيْداً، فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ بْنَ حُذَافَةَ السَّهْمِيَّ، فَنَزَلُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، وَأَوْقَدَ القَوْمُ نَاراً يَصْطَلُونَ عَلَيْهَا وَيَصْطَنِعُونَ الطَّعَامَ، فَقَالَ: عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تَوَاثَبْتُمْ فِي هَذِهِ النَّارِ! فَقَامَ بَعْضُ القَوْمِ فَتَحَاجَزُوا حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُمْ وَاثِبُونَ فِيهَا، فَقَالَ: اجْلِسُوا، إِنَّمَا كُنْتُ أَضْحَكُ مَعَكُمْ!

فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: مَنْ أَمَرَكُمْ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ تَطِيعُوهُ[1].

وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ فَصَلَّى الظُّهْرَ فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ عَلَى المِنْبَرِ فَقَالَ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْ عَنْهُ، فَواللهِ لاَ تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلاَّ أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا[2]. فَقَامَ عَبْدُ اللهِ بْنُ حُذَافَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَبِي؟ قَالَ أَبُوكَ حُذَافَةُ، أَنْجَبَتْ أُمُّ حُذَافَةَ، الوَلَدُ لِلْفِرَاشِ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: أَيْ بُنَيَّ، لَقَدْ قُمْتَ اليَوْمَ بِأُمِّكَ مَقَاماً عَظِيماً، فَكَيْفَ لَوْ قَالَ الأُخْرَى؟ قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ أُبْدِيَ مَا فِي نَفْسِي[3].

وَفِي صَحِيحِ البُخَارِي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: نَزَلَتْ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ فِي عَبْدِ اللهِ بْنِ حُذَافَةَ، بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ[4].

---

(١) المغازي: محمد بن عمرو بن واقد المتوفى ٢٠٧ هـ الجزء الثالث.

(٢) الاصابة: ابن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢ هـ الجزء الثاني.

(٣) طبقات ابن سعد المتوفى ٢٣٠ هـ الجزء الرابع.

(٤) الإصابة.

في حجَّةِ الوَدَاع

وَفِي السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمَّا دَخَلَ ذُو القِعْدَةِ تَجَهَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْحَجِّ وَأَمَرَ النَّاسَ بِالجِهَازِ لَهُ. وَانْطَلَقَ بِالحَجِيجِ لِخَمْسِ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ ذِي القِعْدَةِ، وَخَطَبَ النَّاسَ بِالحَجِّ خُطْبَتَهُ المَشْهُورَةَ، وَبَيَّنَ لِلنَّاسِ بَعْضَ أُمُورِ دِينِهِمْ، وَفِي أَيَّامِ مِنَى بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَبْدَ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِيُنَادِيَ فِي النَّاسِ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: إِنَّهَا أَيَامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرِ اللهِ.

وَقَامَ عَبْدُ اللهِ بْنُ حُذَافَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُصَلِّي فَجَهَرَ بِالقِرَاءَةِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: لاَ يَا أَبَا حُذَافَةَ لاَ تُسَمِّعْنِي وَسَمِّعِ اللهَ.

فِي الفتوحَاتِ

لَمْ يَلْبَثْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تُوفِيَ بَعْدَ أَنْ عَادَ مِنْ حِجَّةِ الوَدَاعِ فَقَدْ مَرَّ عَلَيْهِ بَقِيَّةُ شَهْرِ ذِي الحِجَّةِ وَالمُحَرَّمُ وَصَفَرٌ وَتُوفِيَ فِي ١٢ رَبِيعٍ الأَوَّلِ.

وَبَايَعَ المُسْلِمُونَ خَلِيفَةً لَهُمْ أَبَا بَكْرٍ الصِدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَارْتَدَّتْ أَكْثَرُ العَرَبِ فَبَعَثَ لَهُمْ الصِدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الجُيُوشَ حَتَّى دَانُوا ثَانِيَةً، وَعَادَ الإِسْلاَمُ إِلَى جَزِيرَةِ العَرَبِ كَامِلَةً، ثُمَّ جَهَّزَ الجُيُوشَ لِحَرْبِ الفُرْسِ وَالرُّومِ لإِنْهَاءِ الظُّلْمِ مِنْ عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ مَا اسْتَطَاعَ المُسْلِمُونَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً، وَانْخَرَطَ المُسْلِمُونَ فِي هَذِهِ الجُيُوشِ، وَانْطَلَقُوا مُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَكَانَتْ وُجْهَةُ عَبْدِ اللهِ بْنِ حُذَافَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَلاَدَ الشَّامِ، وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ مِنْ ضِمْنِ الجَيْشِ الَّذِي يَقُودُهُ عَمْرُو بْنُ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَوُجْهَتُهُ فِلَسْطِينَ، فَقَاتَلَ عَبْدُ

اللهِ فِي صُفُوفِ هَذَا الجَيْشِ ، ثُمَّ اجْتَمَعَتْ جُيُوشُ بِلاَدِ الشَّامِ كُلِّهَا فِي اليَرْمُوكِ وَجَاءَهَا مَدَدٌ مِنَ العِرَاقِ بِقِيَادَةِ خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَاشْتَرَكَ عَبْدُ اللهِ فِي هَذِهِ المَعْرَكَةِ، ثُمَّ سَارَتْ الجُيُوشُ بَعْدَ نَصْرِهَا عَلَى الرُّومِ فِي اليَرْمُوكِ مُجْتَمِعَةً كَذَلِكَ بِقِيَادَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاحِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى دِمَشْقَ فَحَاصَرَتْهَا فَتَمَّ الفَتْحُ، وَبَعْدَ الفَتْحِ اتَّجَهَ كُلُّ جَيْشٍ إِلَى جِهَتِهِ الَّتِي انْطَلَقَ إِلَيْهَا فِي البِدَايَةِ، وَعَادَ المَدَدُ ثَانِيةً إِلَى العِرَاقِ وَإِنْ بَقِي خَالِدٌ يَعْمَلُ فِي هَذِهِ الجَبْهَةِ تَحْتَ إِمْرَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ. وَرَغْمَ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ حُذَافَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَدْ شَارَكَ فِي هَذِهِ الفُتُوحَاتِ وَفِي المَعَارِكِ كُلِّهَا وَلَكِنْ لَمْ يُسْمَعْ بِهِ وَلَمْ يُذْكَرْ، وَذَلِكَ لأَنَّهُ كَانَ يُقَاتِلُ صَامِتاً لاَ يَتَكَلَّمُ، وَلاَ يَرْتَفِعُ لَهُ صَوْتٌ، وَكُلُّ الَّذِي عُرِفَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَتَقَدَّمُ المُقَاتِلِينَ، وَلاَ يُرِيدُ أَنْ يُعْرَفَ.

اِسْتِعْلَاءُ الإِيمَان

اتَّجَهَ أَبُو عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعْدَ فَتْحِ دِمَشْقَ إِلَى حِمْصَ وَكَانَ هَذَا الْمُقَرَّرَ فِي بِدَايَةِ سَيْرِ الجُيُوشِ، وَسَارَ شُرَحْبِيلُ بْنُ حُسْنَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى الأُرْدُنِّ حَسْبَ وَجْهَتِهِ الأُولَى، وَانْطَلَقَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى فِلَسْطِينَ إِذْ اتَّجَهَ إِلَيْهَا مِنَ السَّابِقِ يَقْضِي عَلَى مَوَاقِعِ الرُّومِ الَّتِي بَقِيَتْ لَهُمْ فِي تِلْكَ الجِهَاتِ رَغْمَ تَقَدُّمِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الشَّمَالِ كَثِيراً فِي الْمَنَاطِقِ الدَّاخِلِيَّةِ، وَبَقِيَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي دِمَشْقَ وَهْيَ جِهَتُهُ الأُولَى، وَأَرْسَلَ يَزِيدٌ أَخَاهُ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِيُنْهِيَ وَضْعَ الرُّومِ عَلَى السَّاحِلِ فَسَارَ إِلَى قَيْسَارِيَّةَ عَلَى رَأْسِ قُوَّةٍ فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنْ قُوَّةِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَيْنَهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ حُذَافَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَلَمَّا كَانَ يَنْطَلِقُ أَمَامَ الْمُقَاتِلِينَ فَقَدْ أَسَرَهُ أَهْلُ قَيْسَارِيَّةَ مَعَ مَائَةِ أَسِيرٍ، فَأَمَرَ بِهِ

مَلِكَهُمْ فَجُرِّبَ بِأَشْيَاءَ صَبَرَ عَلَيْهَا. ثُمَّ جَعَلُوهُ فِي بَيْتٍ مَعَهُ الخَمْرُ وَلَحْمُ الخِنْزِيرِ ثَلاثاً لاَ يَأْكُلُ، فَاطَّلَعُوا عَلَيْهِ، فَقَالُوا لِلْمَلِكِ: قَدْ انْثَنَى عُنُقُهُ، فَإِنْ أَخْرَجْتَهُ وَإِلاّ مَاتَ. فَأَخْرَجَهُ.

وَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْكُلَ وَتَشْرَبَ؟

قَالَ: أَمَا إِنَّ الضَّرُورَةَ كَانَتْ قَدْ أَحَلَّتْهَا لِي، وَلَكِنْ كَرِهْتُ أَنْ أُشْمِتَكَ بِالإِسْلاَمِ.

قَالَ: فَقَبِّلْ رَأْسِي، وَأَخْلِي لَكَ مِائَةَ أَسِيرٍ.

قَالَ: أَمَّا هَذَا فَنَعَمْ.

وَرَوَى ابْنُ عَائِذٍ قِصَّةَ ابْنِ حُذَافَةَ فَقَالَ: حَدَّثَنَا الوَلِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ: أَنَّ حُذَافَةَ أُسِرَ. فَذَكَرَ القِصَّةَ مُطَوَّلَةً، وَفِيهَا: أَطْلَقَ لَهُ ثَلاَثَمَائَةَ أَسِيرٍ، وَأَجَازَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، وَثَلاَثِينَ وَصِيفَةً، وَثَلاَثِينَ وَصِيفاً[1].

وَلَعَلَّ هَذَا المَلِكُ قَدْ أَسْلَمَ سِرّاً، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ عَلَى مُبَالَغَتِهِ فِي إِكْرَامِ ابْنِ حُذَافَةَ.

---

(١) سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ. الجزء الثاني.

وَيَبْدُو أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ حُذَافَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَدْ أُسِرَ مَرَّتَيْنِ ، وَفِي كِلاَهُمَا حَاوَلَ الرُّومَ أَنْ يُرَاوِدُوهُ عَنْ دِينِهِ فَعَجزُوا وَاسْتَعْلَى بِإِيْمَانِهِ فَكَانُوا أَمَامَهُ صَاغِرِينَ، وَرُوِيَتْ رِوَايَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ. فِي شَأْنِهِ حَتَّى حَسِبَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الأَسْرَ قَدْ وَقَعَ لَهُ مَرةً وَاحِدَةً وَذَلِكَ لأَنَّهُ فِي كِلاَ المَرَّتَيْنِ كَانَ يُقَبِّلُ رَأْسَ المَلِكِ فَيُطْلِقُ سِرَاحَهُ وَالأَسْرَى الَّذِينَ مَعَهُ،وَذَلِكَ لأَنَّ الرُّومَ يَعُدُّونَ تَقْبِيلَ الرَّأْسِ احْتِرَاماً كَبِيراً، وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ حَسْبَمَا يَظْهَرُ أَنَّهُ يَرَوْنَ فِي تَقْبِيلَ رَأْسِ المَلِكِ مِنْ قِبَلِ الأَسِيرِ مَهَابَةً لِلْمَلِكِ وَمَهَانَةً لِلأَسِيرِ الَّذِي يُمَثِّلُ دَوْلَةً مُعَادِيَةً لَهُمْ أَوْ مُجْتَمَعاً مُخَالِفاً لَهُمْ.

وَيَظْهَرُ أَنَّ المُرَاوَدَةَ تَكُونُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ حُذَافَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دُونَ سَائِرِ الأَسْرَى لأَنَّ فِيهِ دُعَابَةً - كَمَا ذَكَرْنَا - إِذْ يَضْحَكُ مَعَ الأُسَارَى وَمَعَ الرُّومِ ، وَيَحْتَرِمُ زُمَلاَءَهُ فِي الأَسْرِ كَطَبِيعَةِ المُسْلِمِينَ إِذْ يَحْتَرِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً فَيَبْدُو لِلرُّومِ أَنَّهُ كَبِيرُهُمْ أَوْ أَنَّهُ ذُو شَأْنٍ عِنْدَهُمْ فَيُحَاوِلُونَ عَرْضَ النَّصْرَانِيَّةِ عَلَيْهِ فَيَأْبَى وَيَسْتَعْلِي بِإِيْمَانِهِ فَوْقَهُمْ بَلْ فَوْقَ الدُّنْيَا كُلِّهَا وَتَهُونُ أَمَامَهُ أَنْوَاعُ العَذَابِ، وَيَسْتَخِفُّ بِالمَوْتِ فَمَا يَزِيدُ الرُّومَ إِلاَّ

اسْتِصْغَاراً، وَيَكْبَرُ فِي أَعْيُنِهِمْ كَثِيراً، وَيَعْظُمْ فِي ظَنِّهِمْ أَنَّهُ مِنْ كِبَارِ القَوْمِ.

وَجَّهَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جَيْشاً إِلَى الرُّومِ، فَأَسَرُوا عَبْدَ اللهِ بْنَ حُذَافَةَ، فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى مَلِكِهِمْ: فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ.

فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: هَلْ لَكَ أَنْ تَتَنَصَّرَ وَأُعْطِيكَ نِصْفَ مُلْكِي؟

قَالَ عَبْدُ اللهِ: لَوْ أَعْطَيْتَنِي جَمِيعَ مَا تَمْلِكُ، وَجَمِيعَ مُلْكِ العَرَبِ، مَا رَجِعْتُ عَنْ دِيْنِ مُحَمَّدٍ طَرْفَةَ عَيْنٍ.

قَالَ: إِذَنْ أَقْتُلُكَ.

قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ.

فَأَمَرَ بِهِ، فَصُلِبَ، وَقَالَ لِلرُّمَاةِ: ارْمُوهُ قَرِيباً مِنْ بَدَنِهِ، وَهْوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ، وَيَأْبَى، فَأَنْزَلَهُ وَدَعا بِقِدْرٍ، فَصُبَّ فِيهَا مَاءٌ حَتَّى احْتَرَقَتْ، وَدَعَا بِأَسِيرَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَأَمَرَ بِأَحَدِهِمَا، فَأُلْقِيَ فِيهَا، وَهْوَ يَعرِضُ عَلَيْهِ النَّصْرَانِيَّةَ، وَهْوَ يَأْبَى. ثُمَّ بَكَى. فَقِيلَ لِلْمَلِكِ: إِنَّهُ بَكَى. فَظَنَّ أَنَّهُ جَزِعَ، فَقَالَ: رُدُّوهُ.

مَا أَبْكَاكَ؟

قَالَ: قُلْتُ: هِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ تُلْقَى السَّاعَةَ فَتَذْهَبُ، فَكُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ يَكُونَ بِعَدَدِ شَعْرِي أَنْفُسُ تُلْقَى فِي النَّارِ فِي اللهِ.

فَقَالَ لَهُ الطَّاغِيَةُ: هَلْ تُقَبِّلْ رَأْسِي وَأُخَلِّي عَنْكَ؟

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ: وَعَنْ جَمِيعِ الأُسَارَى؟

قَالَ: نَعَمْ.

فَقَبَّلَ رَأْسَهُ.

وَقَدِمَ بِالأَسَارَى عَلَى عُمَرٍ، فَأَخْبَرَهُ خَبَرَهُ.

فَقَالَ عُمَرُ: حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُقَبِّلَ رَأْسَ ابْنِ حُذَافَةَ، وَأَنَا أَبْدَأُ. فَقَبَّلَ رَأْسَهُ[1].

وَمَا مَكَثَ مُدَةً حَتَّى تَاقَتْ نَفْسُهُ لِلْجِهَادِ فَاسْتَأْذَنَ الخَلِيفَةَ وَانْطَلَقَ نَحْوَ بِلاَدِ الشَّامِ فَالْتَحَقَ بِجَيْشِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَانَ يَسْتَعِدُّ لِمِصْرَ فَسَارَ مَعَهُ، وَشَهِدَ فَتْحَ مِصْرٍ، وَخَاضَ كَثِيراً مِنَ المَعَارِكِ وَهُوَ عَلَى عَادَتِهِ صامتٌ، وَانْتَهَى فَتْحُ مِصْرَ، فَبَقِيَ مُرَابِطاً فِيهَا حَتَّى أَدْرَكَتْهُ الوَفَاةُ عَامَ ثَلاَثَةٍ وَثَلاَثِينَ مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي خِلاَفَةِ عُثْمَانَ بْنِ

(١) سير أعلام النبلاء.

عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَهَكَذَا انْتَهَتْ حَيَاةُ هَذَا الصَّحَابِيِّ الجَلِيلِ الَّذِي قَضَى أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً مُجَاهِداً فِي سَبِيلِ اللهِ، وَقَدْ أُصِيبَ، وَأُسِرَ، وَمَاتَ مُرَابِطاً فِي سَبِيلِ اللهِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.